الدرس السابع عشر

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[ولا يجوز لأحد أن يتمسح بالحجرة أو يقبلها أو يطوف بها؛ لأن ذلك لم ينقل عن السلف الصالح بل هو بدعة منكرة.

ولا يجوز لأحد أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم قضاء حاجة أو تفريج كربة أو شفاء مريض أو نحو ذلك؛ لأن ذلك كله لا يطلب إلا من الله سبحانه. وطلبه من الأموات شرك بالله وعبادة لغيره.

ودين الإسلام مبني على أصلين:

أحدهما: ألا يعبد إلا الله وحده.

والثاني: ألا يعبد إلا بما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علمًا، وأصلح لنا إلهنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد:

هذه مسائل عظيمة مهمة يُنبه عليها المصنف رحمه الله تعالى فيما يتعلق بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عرفنا أن زيارة قبره عليه الصلاة والسلام من خير وأفضل الأعمال، وهي من السُنن الثابتة، فإن زيارة القبور أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها، وذكر الفوائد العظيمة في زيارتها، فكيف بخير القبور وأفضلها، قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا يُشرع لمن وصل إلى المدينة النبوية قاصدًا زيارة مسجد النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه كما سبق المسجد هو الذي يُشد إليه الرحْل، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»، فإذا وصل الزائر إلى المدينة، استحب له أن يتطهر وأن يأتي مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، وأن يُصلي فيه ما تيسر له من الصلاة، وأيضًا أن يُكثر من الصلوات من المسجد النبوي، وإن استطاع أن لا تفوته فريضة في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، فإن هذا خيرٌ له؛ لأن فرصته في المدينة

أيامٌ معدودة، فاغتنامها بالصلوات الخمس، والنوافل في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، هذا خيرٌ عظيم، وسبق الحديث أن نبينا عليه الصلاة والسلام قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألفٍ صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام»، أرأيتم لو أن أحدًا ذهب إلى بلد، ووجد سلعةً مما يُباع في بلده بخمسة وعشرين ريال، وجدها تُباع بألف ريال في ذلك البلد، هل هذا يُحدث له اهتمامًا بهذا الأمر؟ أو يمر مرورًا غير مُعتبر؟ ستجده يفكر بالتجارة الرابحة، يأخذ بخمسة وعشرين ويبيع بالألف، ما يمكن يفوَّت مثل هذه الفُرَص، ما يُمكن، ولهذا إذا وصل إلى مكة بمائة ألف، هذه تجارة أربح وأربح، ولهذا ينبغي على الحاج أن يهتم بهذا الأمر، وأن يكون من أكبر اهتماماته فيه المدينة الصلاة في المسجد، مسجد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، سواءً الفرض أو النفل.

وبعد ذلك يُستحب له زيارة القبر، قبر النبي عليه الصلاة والسلام، يزوره الزيارة المشروعة، وسبق بيان صفتها، وأيضًا كيف كان عبد الله بن عمر، الصحابي الجليل رضي الله عنه وعن أبيه، وعن الصحابة أجمعين، كيف كان يفعل عندما كان يزور قبر النبي عليه الصلاة والسلام، فيحرص الحاج في الزيارة زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، أن تكون الزيارة الشرعية؛ لأنه إن فعَلَ زيارةً غير شرعية، النتيجة ماذا؟ أن زيارته تُرد عليه، ولا تُقبل منه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من عمِلَ عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، أي: مردودٌ على صاحبه، وغير مقبولٌ منه، ولهذا من باب النصح للمسلمين، أخذ يُنبه الشيخ أو يُحذِّر من أمورٍ قد يفعلها بعض الجُهَّال، ولهذا أراد هنا أن يُنبِّه الزائر قبر النبي عليه الصلاة والسلام أو غيره من القبور، على أمورٍ لا يجوز أن تُفعل، وهي بين أحد أمرين، إما بدعة أو شرك، قال: لا يجوز لأحد أن يتمسح بالحجرة، أو يُقبِّلها، أو يطوف بها؛ لأن ذلك لم يُنقل عن السلف الصالح بل هو بدعةٌ منكرة.

الطواف لا يحل في أي مكان في الدنيا، مهما بلغ شرفه إلا ببيت الله، ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩]، والتقبيل في الدنيا كلها، ليس هناك جماد يُشرع تقبيله إلا الحجر الأسود فقط، الدنيا ليس فيها جمادٌ يُشرع أن يُقبَّل إلا الحجر الأسود، وليس في الدنيا كلها جمادٌ يُشرع استلامه، يعني مسح اليد عليه إلا الحجر الأسود، والركن اليماني فقط، فأي تقبيلٌ للجدرانٍ أو أبوابٍ أو غير ذلك في الدنيا، هذا كله ليس من دين الله، وأي مسحٍ على جدار أو مكان في الدنيا كلها، ليس من دين الله، دين الله عز وجل

هو ما شرع، وما جاء عن رسوله عليه الصلاة والسلام، ولا يُتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالبدع والمُحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهي إما بدع هكذا أو بدع شركية، إذا تضمَّنت معنى التعبد، الذي هو ليس إلا لله وحده سبحانه وتعالى.

قال: ولا يجوز لأحدٍ أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم قضاء حاجةٍ، أو تفريج كربةٍ، أو شفاء مريضٍ، أو نحو ذلك، وهذا أيضًا يفعله بعض الجُهَّال، قد يأتي عند الحجرة ويقف سائلًا طالبًا، إما شفاء مريض، أو نجاحًا في مصلحة من مصالحه، أو غير ذلك من الأمور، من تفريج كربة، أو تيسير أمر، أو غير ذلك، ورب العالمين يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]، هذا حق الله عز وجل، الدعاء هو العبادة، يقول عليه الصلاة والسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلا بشيءٍ كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لن يضروك إلا بشيءٍ كتبه الله عليه، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»، فلا يُدعى إلا الله، ولا يُسأل إلا الله، ولا يتوَّكل إلا على الله، ولا يُنذر إلا لله، ولا يُصرف شيء من العبادة إلا لله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، هذا حق الله على عباده، والنبي عليه الصلاة والسلام إنما بُعث لدعوة الناس إلى إفراد الله بهذا الحق، فكيف يُجعل هو شريك لله سبحانه وتعالى في حقه جل وعلا!؟ مرةً سمع رجلًا يقول: ما شاء الله وشئت، فغضب عليه الصلاة والسلام وقال: «أجعلتني لله عِدلًا»، وفي رواية: «ندًا، قل: ما شاء الله وحده»، بُعِث بتحقيق التوحيد، والإخلاص لله سبحانه وتعالى، وإفراده بالعبادة، ولهذا لا يجوز أن يأتي المرء عند حجرته ليسأل، يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام قضاء حاجة أو تفريج كربة، أو شفاء مريض، أو نحو ذلك؛ لأن كل ذلك لا يُطلب إلا من الله سبحانه وتعالى، وطلبه من الأموات شركٌ بالله، وعبادةٌ لغيره سبحانه وتعالى، وهنا يُنبِّه الشيخ رحمه الله على أصل مهم ينبغي أن يحفظه كل مسلم، وأن يعتني به، وهو أن دين الله جل وعلا يقوم على أصلين عظيمين، وأساسين متينين: الأول: أن لا يُعبد إلا الله، والثاني: أن لا تكون عبادة الله إلا بما شرع، الأول: هو تحقيق لا إله إلا الله، والثاني: هو تحقيق محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم، دين الله يقوم

على هذين الأصلين: أن لا نعبد إلا الله، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥]، ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، لا يُسأل إلا الله، لا يُستغاث إلا بالله، لا يُتوَّكل إلا على الله، لا يُنذر إلا لله، لا يُصرف شيء من العبادة إلا الله، هذا أصل، والأصل الثاني: أن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

وقد جُمِع بين هذين الأصلين في قول الله سبحانه، في آخر آيةٍ من سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، هذه المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، ﴿لا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، هذا التوحيد، الذي هو إخلاص العبادة والدين لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، قال الفضيل ابن عياض رحمه الله: "﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أخلصه وأصوبه"، قيل: يا أبا علي؟ وما أخلصه وأصوبه؟ قال: "إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة".

أقسام الناس في هذا الأمر، الذي هو الإخلاص والإصابة أربعة أقسام: قسم يُخلص الدين لله، لكن عباداته بدع، أو عنده في عباداته بدع، يتقرب إلى الله ببدع، هذا وإن كانت عبادته خالصة لله، فإنها تُرد عليه، لماذا؟ لأن الله لا يقبل أن يُعبد بالبدع، «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، مردودٌ على صاحبه، غير مقبولٌ منه.

القسم الثاني: من أعماله موافقة للسنة، لكنه لا يُخلص لله، عنده خلل في الإخلاص، فهذا كذلك يُرد عليه العمل؛ لأن الله جل وعلا يقول في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمِلَ عملًا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه».

القسم الثالث: من لا إخلاص ولا اتباع، ليس عنده إخلاص في العمل، وليس عنده اتباع للرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا مردودٌ عليه وغير مقبولٌ منه.

الرابع: من أعماله خالصة لله عز وجل، ولسنة النبي صلى الله عليه وسلم موافقة، وهذا الذي يقبل الله عمله، كان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اللهم اجعل عملي لك خالصًا، ولسنة نبيك

صلى الله عليه وسلم موافقًا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا"، نسأل الله لنا أجمعين، أن يجعل أعمالنا كلها له خالصة، ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم موافقة، وألا يجعل لأحدٍ فيها شيئًا.

قال المصنف رحمه الله:

[وهكذا لا يجوز لأحد أن يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة؛ لأنها ملك الله سبحانه، فلا تطلب إلا منه كما قال تعالى ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

فتقول: " اللهم شفع في نبيك. اللهم شفع في ملائكتك وعبادك المؤمنين. اللهم شفع في أفراطي " ونحو ذلك.

وأما الأموات فلا يطلب منهم شيء لا الشفاعة ولا غيرها سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء؛ لأن ذلك لم يشرع ولأن الميت قد انقطع عمله إلا مما استثناه الشارع.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وإنما جاز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ويوم القيامة؛ لقدرته على ذلك، فإنه يستطيع أن يتقدم فيسأل ربه للطالب، أما في الدنيا فمعلوم وليس ذلك خاصًا به بل هو عام له ولغيره، فيجوز للمسلم أن يقول لأخيه: اشفع لي إلى ربي في كذا وكذا، بمعنى: ادع الله لي، ويجوز للمقول له ذلك أن يسأل الله ويشفع لأخيه إذا كان ذلك المطلوب مما أباح الله طلبه.

وأما يوم القيامة فليس لأحد أن يشفع إلا بعد إذن الله سبحانه، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأما حالة الموت فهي حالة خاصة، لا يجوز إلحاقها بحال الإنسان قبل الموت ولا بحاله بعد البعث والنشور؛ لانقطاع عمل الميت وارتهانه بكسبه إلا ما استثناه الشارع، وليس طلب الشفاعة من الأموات مما استثناه الشارع فلا يجوز إلحاقه بذلك، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حي حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء، ولكنها ليست من جنس حياته قبل الموت، ولا من جنس حياته يوم القيامة، بل حياة لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله سبحانه، ولهذا تقدم في الحديث الشريف قوله عليه السلام: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»،

فدل ذلك على أنه ميت وعلى أن روحه قد فارقت جسده، لكنها ترد عليها عند السلام والنصوص الدالة على موته صلى الله عليه وسلم من القرآن والسنة معلومة، وهو أمر متفق عليه بين أهل العلم، ولكن ذلك لا يمنع حياته البرزخية، كما أن موت الشهداء لم يمنع حياتهم البرزخية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وإنما بسطنا الكلام في هذه المسألة لدعاء الحاجة إليه؛ بسبب كثرة من يشبه في هذا الباب ويدعو إلى الشرك وعبادة الأموات من دون الله.

فنسأل الله لنا ولجميع المسلمين السلامة من كل ما يخالف شرعه. والله أعلم].

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

هنا يتكلم الشيخ بتفصيل عن مسألة الشفاعة، والشفاعة من قديم، يُدخل فيها تلبيس على العوام، بل إن بعض العوام، يوقع في الشرك ودعاء الأموات تحت مسمى الشفاعة، وقديمًا كما ذكر الله سبحانه وتعالى عن المشركين، قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس:١٨]، فمسألة الشفاعة هذه فيها عند بعض الناس خلل، عنده فيها سوء فهم، جعلها في غير موضعها، ولهذا العلماء النُصحاء يُبينون الحق في ضوء الأدلة، حتى لا يقع الخلل عند من يُريد لنفسه العافية والسلامة، والطريقة الصحيحة الموافقة لشرع الله سبحانه وتعالى، وأيضًا حتى لا يُلبَّس عليه في هذا الباب، يقول الشيخ: لا يجوز لأحد أن يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة، هو يتحدث الآن عن هذه الحال، التي هي بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام، في حياته الصحابة يأتونه، ويطلبون منه الدعاء، وهذا يقع كثير في حياته، عليه الصلاة والسلام، بعد وفاته توقف الصحابة، ما كانوا يطلبون منه، حتى لما حصل الجدب في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجمع الناس للاستسقاء، قال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا"، أي: بدعاء نبينا، "والآن نتوسل إليك بعم نبينا، قم يا العباس ادعُ الله لنا"، ما توسل بالنبي عليه الصلاة والسلام، ولا استشفع به؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بعد موته لا يشفع لأحد، ولا تُطلب منه الشفاعة، جاء في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال لأم المؤمنين عائشة: «إن كان ذاك وأنا حي، استغفرت لكِ»، أي: أنه بعد موته لا يستغفر لأحد، ثم يأتي بعد الناس ويقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾

[النساء:٦٤]، هذا في حياته، يُنزِّلون الآية في غير موضعها، ويُشبِّهون ذلك على العوام وعلى الجُهَّال، يُنزلونها في غير موضعها، ويتركون النصوص الصحيحة، مثل الحديث الذي في صحيح البخاري، يقول لعائشة: «إن كان ذاك وأنا حي، استغفرت لك»، أي: أنه بعد موته لا يستغفر عليه الصلاة والسلام لأحد، فلا يُطلب يقول من الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة.

إذا قال قائل: أنا أريد أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام شفيعًا لي عند الله، وهو خير الشفعاء، نقول: وكلنا نُريد ذلك، لكننا نتكلم على المسلك الصحيح، الذي يتحقق لك به هذا المطلب، أبو هريرة رضي الله عنه، هذه المسألة تهمِّه جدًا، أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم شفيعًا له، قال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»، الإخلاص هو الذي ينال به العبد شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وتحقيق مدلول كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، الشيخ رحمه الله يُنبِّه هنا أن الشفاعة ملك لله، فإذا أراد أحدٌ أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام يشفع له يوم القيامة، فليطلبها من الملك الذي بيده ملك الشفاعة، وبيده ملك كل شيء، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، في ضوء هذه الآية، إذا أردت أن يشفع لك الرسول عليه الصلاة والسلام، أتطلبها منه مباشرةً؟ أو تطلبها من بيده ملك الشفاعة؟ ويكون طلبك ممن الذي بيده ملك الشفاعة عبادة لله، وتذلل بين يديه سبحانه وتعالى، فتقول في دعائك: اللهم شفِّع فيَّ نبيك، صلى الله عليه وسلم، اللهم اجعلني ممن يشفع لهم نبيك عليه الصلاة والسلام، اللهم أكرمني بشفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم، شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام هي أعظم الشفاعات، نحن نريد من المسلم أن يصحح الطريق، وأن لا يخسر، إذا كان يريد شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، ندله على المسلك الصحيح، ولا نريد له أن يُخطِئ فيخسر، الشفاعة ملك لله، إذا أردت أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم شفيعًا لك، قل: يا رب، قل: يا الله، شفِّع فيَّ نبيك، اللهم إني أسألك أن تجعلني ممن يشفع لهم نبيك عليه الصلاة والسلام، تطلبها من الله، ثم تحقق الإخلاص، الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: «أحق الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه»، يُخلص الإنسان دينه لله، ويُجاهد نفسه على الإخلاص للمعبود سبحانه وتعالى، ويطلب ما يُريد من رب العالمين، الذي بيده سبحانه وتعالى ملك كل شيء، يقول الشيخ، فتقول: اللهم شفِّع فيَّ نبيك، اللهم شفِّع فيَّ ملائكتك،

وعبادك المؤمنين، اللهم شفِّع فيَّ أفراطي، يعني: أولاده الذين ماتوا صغار، هؤلاء شفعاء، ولا يشفعون كل الشفعاء إلا بإذن الله، ولا يشفعون إلا لمن رضي الله قوله وعمله، ولهذا اطلب من الله أن تكون ممن يشفع له الشفعاء يوم القيامة، وممن يشفع لهم خير الشفعاء صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قال الشيخ رحمه الله ناصحًا للمسلمين والأموات: أما الأموات فلا يُطلب منهم شيء، لا الشفاعة ولا غيرها، سواءٌ كانوا أنبياء أو غير أنبياء، الدعاء والطلب لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، لا يُلجأ إلا إليه وحده، إذا سألت، هذا علَّمنا عليه الصلاة والسلام: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله».

قال: لأن ذلك لم يُشرع، هذه واحدة، اثنين: ولأن الميت قد انقطع عمله إلا من مما استثناه الشارع، والاستثناء في الشرع جاء في ثلاثة أمور، في صحيح مسلم قال عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له».

ثم يُبيِّن الشيخ الفرق بين الطلب من النبي صلى الله عليه وسلم في حال الحياة، والطب منه بعد الوفاة، يقول: إنما جاز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، ويوم القيامة، أيضًا يوم القيامة الخلق كلهم، كلهم يطلبون منه عليه الصلاة والسلام أن يشفع، وهو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون يوم القيامة، وجميع الأنبياء يعتذرون، إلى أن يأتي الناس إلى محمد عليه الصلاة والسلام، فيقول: «أنا لها»، وهذا المقام الذي قال الله عنه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، قال: وإنما جاز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، ويوم القيامة، لقدرته على ذلك، فإنه يستطيع أن يتقدم فيسأل ربه للطالب، يعني: لمن طلب منه الشفاعة، أما في الدنيا فمعلومٌ ذلك، وليس هذا أيضًا خاصًا به، أي مسلم صالح تقي لله عز وجل، لو قيل له: ادعُ الله لي، أو اشفع لي عند الله، هذا لا حرج فيه، وليس ذلك خاصًا به، بل هو عامٌ له ولغيره، فيجوز للمسلم أن يقول لأخيه: اشفع لي إلى ربي في كذا، بمعنى: ادعُ الله لي، ويجوز للمقول له ذلك، أن يسأل الله له، وأن يشفع لأخيه، إذا كان ذلك المطلوب مما أباحه الله سبحانه وتعالى، وأما يوم القيامة، فليس لأحدٍ أن يشفع عند الله إلا بعد الإذن، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، هاتان حالتان، حال حياته، ويوم القيامة، لكن بعد الموت هذه المسألة التي يُفصِّل فيها الشيخ، يقول: أما حال الموت فهي حالةٌ خاصة لا يجوز إلحاقها بحال الإنسان قبل الموت، ولا بحاله بعد البعث والنشور، لانقطاع عمل الميت، وارتهانه

بكسبه إلا ما استثناه الشارع، وليس طلب الشفاعة من الأموات مما استثناه الشارع، قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٌ جارية، أو علمٌ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»، قال: فلا يجوز إلحاقه بذلك.

ثم يُبين الشيخ رحمه الله فيما يتعلق بحياة النبي عليه الصلاة والسلام في قبره، وهو حيٌ في قبره، حياةً برزخية أكمل من حياة الشهداء، الذين هم أحياء في قبورهم حياةً برزخية، لكن هذه الحياة البرزخية الله أعلم بكيفيتها، لكنهها ليست على صفة الحياة الدنيا، باعتبار الحياة الدنيا النبي صلى الله عليه وسلم مات، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، ﴿ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤]، النبي عليه الصلاة والسلام مات، باعتبار الحياة الدنيا، ولهذا جاء في الحديث: «ما من أحدٍ يُسلِّم علي إلا رد الله علي روحي، فأرد عليهم السلام»، وهذا دليل على أنه ميت، وأن روحه فارقت جسده، لكنه مع ذلك حيٌ حياة برزخية، ليست كالحياة الدنيا، لو كانت الحياة البرزخية هي نفس الحياة الدنيا، فمعنى ذلك أن الصحابة دفنوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي، يكون معنى ذلك أنهم دفنوه وهي حي صلوات الله وسلامه عليه، وأبو بكر رضي الله عنه لما اختلف الناس في موته، جاء ونظر إليه، وقبَّلَ جبينه، وخرج إلى الناس، وخطب خطبته المشهورة قال فيها: "من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت"، فإن محمدًا قد مات، ولهذا صلوا عليه ودفنوه صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها، وعن الصحابة أجمعين.

إذًا باعتبار الدنيا هو ميت، ولهذا الصحابة يحصل عندهم إشكالات، يحصل عندهم مسائل، يحصل عندهم أمور ومطالب، ما يُذكر ولا نُقِل أن أحدًا منهم كان يأتي عند قبره ويسأله، ويعرض عليه مشكلة، أو يطلب منه حاجة، مثلما كانوا يفعلون عندما كان بين أظهرهم حيًا صلوات وسلامه عليه.

وهو في الوقت نفسه حيٌ حياة برزخية، الحياة البررخية هذه لا نعرف كُنْهِها، لكن ما نقيسها على الحياة الدنيا، لها صفة خاصة، إذا كان الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، النبي صلى الله عليه وسلم حياته في قبره أكمل من حياة الشهداء،.

أحد العوام ممن وفقه الله عز وجل لفهم التوحيد، أراد أن يلبِّس عليه شخص، قال: نحن ندعو الصالحين وندعو الشهداء؛ لأنهم أحياء ويقرأ الآية، قال: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، فقال له هذا العامي: الله عز وجل قال: ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، ما قال: يَرزقون، يعني يرزقهم الله، ما قال: يَرزقون، فأنا الذي أدعهم يرزقهم، أدعو رب العالمين، هذا التوحيد الذي يجب أن يُحافظ عليه المسلم أشد المحافظة، وأن يصون عمله من كل خلل يخالف هذا التوحيد الناصع البيِّن الواضح، الذي يكفي دليلًا عليه قولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، أي: نعبدك ولا نعبد غيرك، ونستعين بك ولا نستعين بغيرك، يكفي دليلًا عليه "لا إله إلا الله"، التي يرددها كل مسلم، هي كلمة التوحيد، فيها نفي وإثبات، نفيٌ للعبودية عن كل من سوى الله، وإثباتٌ للعبودية بكل معانيها لله وحده.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[وأما ما يفعله بعض الزوار من رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم، وطول القيام هناك، فهو خلاف المشروع؛ لأن الله سبحانه نهى الأمة عن رفع أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الجهر له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وحثهم على غض الصوت عنده في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢ - ٣].

ولأن طول القيام عند قبره صلى الله عليه وسلم والإكثار من تكرار السلام، يفضي إلى الزحام وكثرة الضجيج، وارتفاع الأصوات عند قبره صلى الله عليه وسلم، وذلك يخالف ما شرعه الله للمسلمين في هذه الآيات المحكمات، وهو صلى الله عليه وسلم محترم حيًا وميتًا، فلا ينبغي للمؤمن أن يفعل عند قبره ما يخالف الأدب الشرعي].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الموطن يُنبه فيه الشيخ على بعض الأخطاء التي تقع من بعض زوار القبر الشريف، قبر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، من ذلك ما يفعله بعض الزوَّار من رفع الصوت عند قبره عليه الصلاة

والسلام، وطول القيام، فيُنبِّه على هذين الأمرين: رفع الصوت، الصوت العالي، وطول القيام، أما يتعلق برفع الصوت، فأورد الشيخ رحمه الله هذه الآية من سورة الحجرات، وتُسمَّى سورة الحجرات، سورة الآداب؛ لأن الله ساق فيها آداب كثيرة مهمة جدًا، في أوائل هذه السورة يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢]، هذا أدب من الآداب الشرعية العظيمة المعتبرة، ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات:٢-٣]، والنبي عليه الصلاة والسلام محترم حيًا وميتًا، فلا يرفع الإنسان صوته، هذه واحدة.

الثانية: يقول: طول القيام، إذا كان المقصود الزيارة الشرعية، تقدم فعل ابن عمر رضي الله عنهم، يقف أمام القبر ويقول: "السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه"، وينصرف، ليس هناك طول قيام، وليس هناك تطويل أيضًا في الكلام، وإنما كلمات مختصرة يحصل بها تمام المقصود، وتتحقق الزيارة، كان يقول: "السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه"، وينصرف رضي الله عنه وأرضاه.

قال: لأن طول القيام عند قبره صلى الله عليه وسلم والإكثار من تكرار السلام، ويتردد مرات ومرات، هذا فيه نهي، قال: «لا تجعلوا قبري عيدًا»، والإكثار من تكرار السلام يفضي إلى الزحام، وكثرة الضجيج وارتفاع الأصوات عند قبره صلى الله عليه وسلم، وذلك يخالف ما شرعه الله للمسلمين في هذه الآيات المُحكمات، أي من سورة الحجرات، وهو محترمٌ صلى الله عليه وسلم حيًا وميتًا، فلا ينبغي للمؤمن أن يفعل عند قبره ما يُخالف الأدب الشرعي.

قال المُصنِّف رحمه الله:

[وهكذا ما يفعله بعض الزوار وغيرهم، من تحري الدعاء عند قبره مستقبلًا للقبر، رافعًا يديه يدعو، فهذا كله خلاف ما عليه السلف الصالح من أصحاب رسول الله وأتباعهم بإحسان، بل هو من البدع المحدثات، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين

من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، أخرجه أبو داود والنسائي بإسناد حسن.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أخرجه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم: «من عِمَل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»].

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

مما يُنبِّه عليه الشيخ مما يفعله بعض الزُوَّار، تحري الدعاء عند القبر مستقبلًا للقبر، رافعًا يديه يدعو، فهذا كله خلاف ما عليه السلف الصالح، ومن اتبعهم بإحسان، وقد جاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة في النهي عن المُحدثات، فإذا كان يرفع يديه ويستقبل القبر يدعو الله، فهذا عمل لا دليل عليه، داخل في محدثات الأمور، وإذا كان رافعًا يديه يدعو الرسول عليه الصلاة والسلام، من دون الله فهذا الشرك، الذي بُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم بتحريمه، فبعضهم يتحرى الدعاء، يعني دعاء الله، ويرفع يديه ويستقبل القبر، النبي عليه الصلاة والسلام علّمنا إذا أردنا أن ندعو ربنا أن نستقبل القبلة؛ لأن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، علّمنا أن نستقبل القبلة، ما علّمنا أن نستقبل القبور، فإذا فعل الإنسان شيئًا لم يُعلِّمه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة، يكون دخل في البدع، والبدع كلها ضلالة، وهي مردودة على أصحابها، غير مقبولة منهم، قال عليه الصلاة والسلام: «من عمِلَ عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، أي: مردودٌ على صاحبه غير مقبولٌ منه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[ورأى علي بن الحسين (زين العابدين) رضي الله عنهما رجلًا، يدعو عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه عن ذلك، وقال: ألا أحدثك حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم». أخرجه الحافظ محمد بن عبد الواحد المقدسي في كتابه الأحاديث المختارة].

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

هذا الأثر عن علي بن الحسين، زين العابدين رضي الله عنهما، يؤجل الكلام عليه، في بعض المعاني المهمة، والوقت قارب تحتاج إلى شيء من البسط، والبيان، فيؤجل إلى لقاء الغد بإذن الله سبحانه وتعالى.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم، بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، أن ينفعنا أجمعين بما علّمنا، وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، زكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليها ومولاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ذنبنا كله، دقه وجلّه، أوله وآخره، علانيته وسره، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ووالديهم وذرياتهم ولمشايخنا، ولولاة أمرنا، وللمسلمين والمسلمات، اللهم آمنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا في من خافك وأتقاك واتبع رضاك، يا رب العالمين، اللهم وفّق ولي أمرنا لهداك، واجعل عمله في رضاك، وسدده في أقواله وأعماله، اللم وفقه وولي عهده لما فيه صلاح البلاد والعباد، اللهم فرّج هم المهمومين، من المسلمين، ونفِّس كرب المكروبين، واقضِ الدين عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم أصلح ذات بيننا، وألّف بين قلوبنا، واهدنا سُبِل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وأعذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك لما تعلم، إنك أنت علّام الغيوب، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا، اللهم أصلح لنا أجمعين النية والذرية والعمل، سبحانك اللهم

وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.